



خطبة الجمعة 29-8-2008

الشيخ الطيب محمد خير الشعال

((لا تظالموا))

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير نبي اجتباه وهداً ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته، نحن يا قوم عما قريب ذاهبون إلى دار هناك نقيم فيها فلا نزول، وليس فيها إلا الجنة والنار، وإنه من قدم الحسنات فاز بالأولى، ومن قدم السيئات أصابته الثانية، فقدموا لأنفسكم، فأنتم اليوم في دار عمل لا حساب فيها، وغداً ذاهبون إلى دار حساب لا عمل فيها، ثم استفتح بالذي هو خير.

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿43﴾ [إبراهيم]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا الْأَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (54) [يونس]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمِلِّي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ
لَمْ يَفْلِتْهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾))
[مسلم]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عَرْضِهِ
أَوْ مَالِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوْخَذَ مِنْهُ يَوْمَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ
عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجَعَلَتْ
عَلَيْهِ)) [البخاري وأحمد]

عنوان الخطبة: ((لا تظالموا))

أيها الإخوة: نرغب بعد يومين أو ثلاثة هلال رمضان كل عام وأنتم بخير،
وتسمعون وتحفظون أحاديث كثيرة تهنيكم بأن رمضان شهر المغفرة، وأن الله تعالى يغفر
 لعباده من أول ليلة من ليالي رمضان، عن أن رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما، عن أن
الصائم يغفر له عند فطره، عن عتقاء الله من النار في كل ليلة من ليالي رمضان، عن عتقاء
ليلة القدر.

والحق أيها الإخوة أن كل هذه الأحاديث والأخبار تتحدث عن مغفرة الذنوب
التي بينك وبين الله، أما الظلم الذي ألحقته بالناس، أما الاعتداء الذي اعتديت به على
الناس، أما البغي الذي بغيته على الإنسان، فلا تكون مغفرة إلا برد المظالم إلى أهلها
 وإرجاع الحقوق إلى أصحابها أو بمساحة المظلوم للظالم، صم ما شئت من رمضان، اذهب
 ما شئت إلى الحج أكثر من العُمَر ما استطعت، حقوق العباد لا بد أن تعود إلى أصحابها،
ولئن بشرك الله بمغفرة فهذه المغفرة للذنوب التي بينك وبينه.

باع رجل داراً، كتبها عقد البيع عند المحامي بوجود شهود ودفع المشتري العربون
واتفقا على أن التسليم بعد 15 يوماً، مضت الأيام الخمسة عشر، تعلل البائع أنه لا يستطيع
التسليم للانشغال بمرض أبيه، انتهت 15 يوم أخرى، اعتذر الرجل عن التسليم للانشغال،
مضى شهر ثان، لما طلب المشتري التسليم بإلحاح قال البائع: أنا لن أسلمك الدار والسبب

أن أسعار البيوت قد ارتفعت خلال هاذين الشهرين وأريد زيادة على المبلغ المتفق عليه 500 ألف ليرة سورية وإلا فلا بيع بيننا ولا شراء، وأصر البائع على ذلك وهو من المصلين والصائمين والراكعين والساجدين، لقد أخذ نصف مليون ليرة سورية ظلماً وحراماً.

يا أيها الإخوة لا تظالموا فإن فضائل رمضان وأجور رمضان لا تلغي حقوق العباد وواجباتهم.

سجل أب خلال حياته بعض أملاكه باسم اثنين من أولاده خوفاً من التأمين والاستملاك، وأعلم الولدين أنه يريد منهم رد الحقوق إلى أهلها وتقسيم هذه الأملاك مع بقية ما يملك حسب الإرث الشرعي إذا ما هو مات، وبالفعل مات الأب بعد سنوات فامتنع الولدان اللذان يصليان ويصومان من إعادة توزيع الحصص حسب الإرث الشرعي، وهم منذ سبع سنوات في المحاكم مع بقية الورثة يترافعون ضد بعضهم.

يا أيها الإخوة لا تظالموا فإن فضائل رمضان وأجور رمضان لا تلغي حقوق العباد وواجباتهم.

كانا طالبين في الجامعة في كليتين مختلفتين تعرفنا على بعضهما وأعجب كل منهما بالآخر، وقال لها إنه أحبها وصدقت قوله، كان يدعوها إلى الخروج معه مراراً وتكراراً، طلبت إليه أن يأتي إلى بيت أهلها ليخطبها ثم يتزوجها، تعلق بأن أهله لا يوافقون الآن فهو في سنين الدراسة، لكن بإمكانه أن يذهب بها مع شاهدين من أصدقائه بالجامعة إلى رجل قال لها: إنه شيخ ليعقد لهما عقد زواجهما حتى يكون جلوسهما مع بعضهما شرعياً حتى إذا أنهيا الدراسة بعد سنتين ذهب مع أهله ليطلبها من أهلها بشكل رسمي، رضيت الساذجة البسيطة وفعلت ما قال لها وعقدا العقد ثم ذهب بها إلى منزل خاص استعاره من أحد أصدقاءه، وكررا الذهاب إلى ذلك المنزل كل حين وآخر، لكنه بعد أن أنهى دراسته وقضى منها وطره قرر أن يطلقها وأنهما لم يجتمعا بعد الآن، وعندما سأله؟ قال: لأن مستوى عائلتها لا يتناسب مع مستوى عائلته.

يا أيها الإخوة لا تظالموا فإن فضائل رمضان وأجور رمضان لا تلغي حقوق العباد.

الظلم: وضع الشيء بغير موضعه، أو هو مجاوزة الحق، أو هو الاعتداء على الآخرين بغير الحق بأموالهم أو في أعراضهم أو في أنفسهم، أو هو إلحاق الضرر عمدًا بالإنسان أو الحيوان أو البيئة.

ورد الظلم وعواقبه السيئة في القرآن الكريم في 289 مرة، وورد الحديث عن الظلم في كتب الحديث التسعة في أكثر من 700 موضع. النبي صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الظلم، ولا زال الظلم ممقوتاً بالشرائع السماوية وفي القوانين الأرضية، وقبحه معروف عقلاً وشرعاً و ((لو أن جبلاً بغى على جبل لُدك الباغي)) [البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس]

وإن السماوات لتنفرج لدعوة المظلوم، فاحذر من ليس له ناصر إلا الله واحذر من لا سلاح له إلا الابتهاال إلى من لا يعجزه شيء، والبغي مصرعه وخيم، وإن البغي يصرع أهله.

حدثوا أن أحد الأكاسرة بنى قصرًا له على دجلة، ولما انتهى بنيانه وفرشه راح ينظر إلى جماله وحوله حاشيته وكبرائه، هنا قاعة العرش، وهنا جناح الحرير، وهنا الطعام، وهنا غرفة الاستقبال، وهكذا.. ويفتح النوافذ، هذه نافذة تطل على الجبل، وأخرى تطل على المدينة، وثالثة تطل على البساتين، ورابعة تطل على النهر.

أطل كسرى من إحدى النوافذ فوجد كوخاً متواضعاً على مرمى بصره في جانب القصر على شاطئ دجلة فغضب وزجر وقال: كيف تسمحون لكوخ حقير أن يكون بجانب قصري؟ أزيلوه، أمرهم بإزالته ورميه في النهر ففعلوا، في المساء أتت امرأة عجوز كانت تحتطب وتعمل لكسب عيشها، أتت تفتش عن كوخها، ولما لم تجده قال لها واحد من الناس: على ماذا تفتشين؟ قالت: يا بني أفتش عن كوكبي وليس لي سواه، قال لها: أما خبرتي لقد ألقاه كسرى في الماء اليوم، فنظرت إلى قصر كسرى والدموع تنهمر من عينيها

ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا رب أنا كنت غائبة فأين كنت أنت؟ فأمر الله سبحانه فخسف بالقصر ومن فيه.

((يقول الله اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري)) [الطبراني].

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا دعوة المظلوم وإن كانت من كافر فإنها تحمل فوق الغمام يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين))
[أحمد و أبو يعلى والطبراني].

يا أيها الإخوة: ضلال الخلق على كثرة صوره وأنواعه مرده إلى شيئين: الجهل والظلم. فلا تظالموا.

يا أيها الإخوة: الإسلام أمران اثنان: حسن صلة بالله وحسن صلة بالناس.

أقل درجات حسن الصلة بالله أن تتقن الفرائض، أقل درجات حسن الصلة بالناس أن لا تظلمهم، فلا تظالموا.

يا أهل الشام: ختم الإمام النووي كتابه -الأذكار- بحديث بإسناده إلى سيدنا أبي ذر رضي الله عنه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى سيدنا جبريل عليه السلام يرويه عن الله تبارك وتعالى، قال الإمام أحمد بن حنبل: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث، كان أحد المحدثين إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبته، والحديث يقول:

((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا))

[مسلم]..

كل تاجر يرفع الأسعار بغير مبرر أو يغير في مواصفات البضاعة تدليساً وتزويراً يظلم بذلك المشتريين فلا تظالموا.

كل موظف يأخر المعاملات التي بين يديه أو يتقاضى رشوة يظلم بذلك المراجعين فلا تظالموا.

كل قاض يزور الحقائق أو يبدل الشهادات يظلم بذلك المترافعين فلا تظالموا.

كل معلم يقصر في التدريس أو لا ينصف في الامتحانات يظلم بلك الطلاب فلا تظالموا.

كل مهندس يخالف المواعيد متعمداً أو لا يفي بالشروط المتفق عليها يظلم بذلك الناس فلا تظالموا.

قد يظلم المدير الأجير وربما العكس، قد يظلم الزوج زوجته وربما العكس، قد يظلم الشريك شريكه وربما العكس، قد يظلم الطبيب مريضه وربما العكس، قد يظلم المحامي موكله وربما العكس، قد يظلم الجار جاره..

وكل هذه المظالم ما لم نرفعها من بيننا فإننا في خطر عظيم لأننا نخالف 289 آية في القرآن الكريم ونخالف أكثر من 700 حديث لسيدنا محمد محمد صلى الله عليه وسلم. يا أيها الإخوة: تعالوا كلنا مع بعضنا نستقبل رمضان برفع المظالم من بيننا، ولتبدأ أنت بنفسك إذ بدأت أنت سنبدأ جميعاً.

قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ((أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إنَّ المفلس من أُمِّي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)) [مسلم و أحمد و الترمذي]. والعياذ بالله تعالى.

فتعالوا يا أيها الإخوة ورمضان على الأبواب ليراجع أحدنا نفسه حتى يرد المظالم إلى أهلها إن وجدت.

أقول قولي هذا واستغفر اله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفر الله.